قصص من الكويت

وليد الرجيب

العُشّ

كان نقطةً في الفضاء.
اقتَرَبَ حاملاً عوداً بمنقاره الجميل،
أضافَهُ ليكتملَ العشُّ
الذي حَلِمَ به منذ زمنٍ طويل
فوق البناية العتيقة.
حكّ منقارَه، رفع رأسَه،
وغنّى صادحاً بسعادة،
ثم طار مع الريح مرفرفاً
وأصبح نقطة في الفضاء.

* * *

كانا نقطتين في الفضاء
اقتربا، عصفورٌ وعصفورةٌ،
أراها المنزلَ الجديدَ
الذي بناه قشةً قشةً
من أفضل أغصان المنطقة.
فَتَحَتْ منقارَها، وشَدَتْ بسعادة.
لعب الهواءُ بريشها
فغرستْ منقارَها بريشه.

بعد أيام كانت العصفورةُ تحتضن
ثلاثَ بيضات،
والعصفورُ يعود آخر النهار
حاملاً حباً كبيراً بقلبه ودودةً للعشاء.
ـ ألم يئن الأوان؟
ـ فقط يومان.
فيغرد فرحاً ويرفرف بجناحيه.

* * *

وفي اليوم الموعود طار
بَحْثاً عن الطعام وعاد باكراً
كي يرى أفراخه.
عاد ليُصْدَمَ بما رأى:
فالجرّافة كانت تَهْدم البنايةَ بشراسة،
والعشُّ مهروسٌ تحت جنازيرها.
صَرخ متفجّعاً، وانقضّ على الجرافة،
وتهشّم رأسُه على الحديد الصلب،
وأكملت الجرافةُ هدفَها
لبناء مُجمَّعٍ تجاريٍّ كبير □.

قصص من الكويت

طالب الرفاعي

حـد الحـد...

صباحاتٌ متشابهة تجرّ خلفها أياماً صمغيّة، وعمرٌ يسير إلى نهايته.

جدار البيت مكسور الخاطر، يَسْكن وحدتَه وحسرتَه وصمتَه. تكْنس الريحُ وجهه، دونما شجرةٍ أو عصفورةٍ تحطّ بقربه.

باكراً، جاء عمّالٌ يحملون عدّتهم. توقّفوا قرب الجدار، أيقظوا هدأته بلغطهم. كانوا ثلاثة: إلى الجدار أَسْند أحدُهم ظهرَه، استخرج علبةَ دخانه، أشعل سيجارته. وكان الآخر قصيراً، ذا سحنةٍ محروقة، وعينين مشتعلتَيْن بنظرة قلقة، وجسمٍ ممتلئ، ورأسٍ مكشوف، وشعر أسود

كثٌّ ينزّ عرقاً لامعاً. أما الأخير فكان طويلاً، بجسم هزيل، ويدين طويلتين لامستا ركبتيه، ورأس مغطّى بخرقة بيضاء متّسخة ببقع صفراء، وكان ذابل النظرة والهمّة، صامتاً كما لو أنّه في جنازة.

أطلّ قرصُ الشمس.

تعاون العاملان القصير والطويل على حفر حفرة. وظَلّ الثالثُ مستنداً إلى الجدار: كان بوجه مهموم، يَنْفخ دخانَ سيجارته وأسفَه، وجعل يتكلّم عن زوجته هناك في الوطن، وكيف انقلبتْ عليه، غدرتْ به، حرقتْ قلبه، دمّرتْ حياته، هجرتْ بيته، وتركتْ أطفاله وأمه العجوز. كان يغلي بحيرته، يَسْكن الدمُ نظرةَ عينيه. قال إنّه ضحّى بكل شيء من أجلها، وإنّه غادر وطنه، جاء إلى الغربة، تحمّل المذلةَ والتعبَ، نزولاً عند رغبتها، وإنّه ما قصّر بشيء عنها، كان يَحْرم نفسه، ليُرسل إليها كلّ شهر أقصى ما يستطيع. وقال إنّه الآن مقيَّد: فهو لا يَقْدر على ترك عمله هنا، ولا يستطيع السفر إليها والتفاهمَ معها. وقال إنّه في ورطة سوداء، وإنّه حائر لا يعرف ماذا يفعل، يكاد يجنّ.. وصفّق بيديه وهو يقول: «ما تصوّرتُ قلّةَ أصلها.. امرأة تتخلّى عن أطفالها!». وتمنّى لو تطالها يدُه، كي يذبحها ويشربَ من دمِّها!

جعل قرصُ الشمس يرتفع إلى مكانه وسط خيمة السماء.

أصاخ الجدارُ لحديث العامل وشكواه من زوجته، فدخل الحزنُ قلبه. وودّ لو ينأى بنفسه عن التصاقه بزميله الجدارِ المجاور.

بعد فترة، توقّفتْ سيارة «وانيت» بيضاء. أَخْرج سائقُها رأسَه، نادى على العامل الواقف، فرمى بسيجارته وجرى نحوه، وأشار لزملائه: «تعالوا».

تعاون الثلاثة على إنزال شجرة نخلٍ من الوانيت، وكانت برأس كبير مدوّر، مشدودٍ بخرقة من دون لون، لطّخ الطينُ الأحمرُ وجهَها. خاطب سائقُ الوانيت العاملَ الثالثَ بصوتٍ عالٍ موصياً:

ـ «لو سأل صاحب البيت، قلْ له النخلة برحي».

أومأ العاملُ موافقاً، فأدار صاحبُ الوانيت سيارته مبتعداً، بينما بقي قرصُ الشمس لاصقاً معلّقاً فوق الرؤوس.

العمّال الثلاثة أزاحوا خرقة الطين، كشفوا رأس النخلة. كانت بشعرٍ أشقر كثّ. لاحظ الجدارُ أنّ هناك أكثر من شيبة بيضاء. رشّ العامل الطويل الماءَ على جوانب الحفرة، فارتفع البخار، وهاضت رائحةُ التراب الحنون.. مدوِّخةً يعرفها الجدارُ. بلّل العاملُ الطويلُ رأسَ النخلة بالماء، ثم صبّ الماء يَغْسل وجهه.

تعاون العمالُ الثلاثة على إنزال رأس النخلة الكبير إلى الحفرة. تمايلتْ واقفةً. أسند العاملُ الطويل والزوجُ المنكوب النخلةَ كلٌّ من جهة. أسرع العاملُ القصير بملء جوانب الحفرة بالتراب، بينما التصق قميصُه على جسده بعرقه المتصبّب. ثبّت العاملُ الطويل عارضتين من الخشب لتُسْندا النخلةَ في وقفتها الأولى. انتصبت النخلةُ في حفرتها قرب الجدار. أهال العمّالُ الترابَ على جوانب الحفرة. بعدها، رشّ العاملُ الطويل الماءَ على التراب وعلى الجذع. فباشر العاملُ القصيرُ دكّ التربة مستعيناً بمدكّة يدويّة. وحين انتهى، غسل العمالُ وجوههم، وشربوا الماء من برّاد صغير أحمر اللّون، قبل أن يبتعدوا، وسط دمدمة العامل المنكوب بشكواه.

قرصُ الشمس كان باهراً في الأعلى.

انفرجتْ أساريرُ الجدار. جعل يراقب جارته الجديدة: النخلة. أراد أن يبادرها الترحيب بمنزلها. بدت رافعةً رأسها، مُعْرِضةً، مكتفيةً بنفسها. ما إنْ أخذتْ مكانها حتى اهتزّت بسعفها، وكأنّها تعيّره في حبسه بوقفته الجامدة.

مرت اللّيلة الأولى، وعينُ الجدار ساهرة بسرورها، لم تغمض جفناً، تَرْقب جارته النخلة.

جاء الصباح الثاني، وجلب فرحَ العصافير بالنخلة.

وجلبَ ظلَ قرص الشمس المائل.

طَربَ الجدارُ لغناء العصافير. لكنّ النخلة واصلتْ إعراضَها عنه!

هلّ المساءُ الثاني..

والصباحُ الثالث..

انقضى أسبوعُ النخلة الأول في مكانها قرب الجدار.

انقضى الشهر الأول..

والثاني..

بدأ الجدار يعتاد إعراضَ النخلة، وانشغالَها بسعفها وعصافيرِها ونسماتِ الهواء التي تداعبها.

مرت سنةٌ كاملة. سنة طويلة بأيّامها ولياليها وحرّها وبردها ومطرها.

ظل قرصُ الشمس في الأعلى بظهوره واختفائه.

مرت سنتان..

ومرت سنة ثالثة..

ارتفعت النخلةُ عن الأرض. زاد سعفُها. مالت بجذعها تتّكئ على الجدار، بينما بعضُ شوكها ينغرس ويَخْدش وجهَه.

احتمل الجدارُ وجعَه. ما ضاق بحملها، ولا بتدلُّلها. أَحبَّ اختلاس ملامستها الرطبة بسعفها الأخضر، ورائحةِ طلعها، وزقزقةِ عصافيرها الصباحيّة.

مرّت أيامٌ ككلّ الأيام المرسومة بقلم الرصاص، وشهورٌ عمياء دون ذكريات..

تسلّلتْ سنواتٌ عابرة كما في كل الأزمان.

اعتادت النخلةُ ميلَها على الجدار الصامت، تُلْقي بحَمْلها وتعبِها عليه، تَخْدش وجهه وتدميه بسعفها وشوكها، دون أن تنتبه إليه بألمه وحسرته.

ذات يوم، احتجب قرصُ الشمس، وعفر الغبارُ الأصفرُ وجهَ السماء. ولسببٍ ما، كان الجدار قد اتخذ قراره المجنون: فقد ملَّ تجاهُلَ النخلة، وكره وحدتَه وصمتَه بوجعه، وأراد أن يضع حداً لحياته البائسة. وفي التوّ انتفضَ، فاهتزت الأرضُ. اندفعت النخلةُ إلى الأمام، مالت على وجهه، فثارت عاصفةٌ عاليةٌ من التراب □.

قصص من الكويت

فاطمة يوسف العلي

الثالثة... آه

الدشداشة المنشاة، الغترة الحمراء، النعال النجديّة. آه.. تُقلقه ثلاثُ شعراتٍ نافرة في حاجبه الأيمن، لا بدَّ أن تعود إلى أماكنها. لا يعرف لماذا تلتوي وتدور. حَدَثَ أنَّ قصّها، نتّفها، صَبَغَها، حاول ترويضها بكلّ وسيلة، ولكنَّها لم تتروَّض أبداً، بل ظلَّت كما هي: ما إنْ تطول إلى سنتميتر واحد حتى ترتفع إلى أعلى، تلتوي حول نفسها مثل ثعابين صغيرة مشاغبة، ترسم ثلاثة خطوط كأنَّها رؤوسُ أسهمٍ تتجمَّع كما يتجمَّع الأشرارُ لارتكاب جريمة.. ويكون هو الضحيّة. يرسم حاجبه الأيمن إلى أعلى، فيغدو في هيئة القرصان. أين شاهَدَ صورةَ القرصان؟ لا بدَّ في أحد الأفلام؛ فبلادنا لم تعرف القراصنة. مرةً واحدةً ذكر الشيخ عبد العزيز الرشيد سيرةَ قرصان كويتيّ اسمُه «إرحمة»، ولم تدم سيطرتُه على صفحة الخليج؛ فقد قُتل. وفي سيرة هذا القرصان الخليجيّ الوحيد أنَّه كان لا يغيِّر ثيابه، يعني أنَّه كان بائساً جداً، وهو يختلف كثيراً عن القرصان الذي نشاهده في السينما، حيث العنفوان والبطش، إلى جانب الوسامة المجروحة بالغطاء الجلديّ الذي يَطْمس العينَ اليسرى أو يداريها. وفي هذا القرصان تَقْترن الشراسةُ بالعاطفة الثائرة: فهو يلعب بالسيف وبقلوب العذارى، يداعب مقبضَ سيفه وحلماتِ الصدور الناهدة، يقبِّل الرصاصةَ قبل أن يَقْذفها إلى قلب عدوِّه ويقبِّل الشفاهَ الملتهبة بعشق القوّة.

هو لم يحلم أبداً بأن يكون قرصاناً. بالعكس، يريد أن يَتْرك في وجدان الآخر، أو الأخرى، انطباعاً بالوداعة، بالرِّقَّة، بأنَّه العاشق الحالم الذي لم يَجِدْ مَنْ يفهمه. هل يمكن أن تكون هذه الشعراتُ النافرة إلى أعلى صيغةَ اعتراضٍ على حلْمه الذهبيّ النابع من قلبه؟

حرص على وضع المسباح العاج في جيبه. نَثَرَ قليلاً من العطر على كتفيه. هل حلم بأن تتوسَّد كتفَه، وأن يجد عطرُه طريقاً إلى أنفها الرقيق؟ لنفترضْ أنَّ هذا حَدَثَ، فماذا يمكن أن يقول لها: «أحبُّكِ، أنا عاشق، صدقيني أنَّني متيَّم بك؟ راح زماني هدراً وكنتُ في انتظارك؟!». يا لها من عبارات مستهلَكة تعلن عن كذبها؛ إنَّها مثل ساندوتشات الشاورما والهامبورجر، بضاعة حاضرة، صيغة جاهزة، حب معلّب. إذن ماذا سيقول لها؟ لماذا لا يجرِّب الصدق؟ الصدق الصدق، لا الصدق